

الأسيرة الأوروبية والدعائم التي تقوم عليها

تنص القوانين في كثير من الأمم الأوروبية على وجوب احترام حرمة المنزل الذي تملكه الأسرة وتسكنه ، فلا يجوز توقيع الحجز عليه ولا بيعه وفاء لدين . ولذلك التشريع مغزى كبير يدل على مبلغ تقدير الأوربيين للأسرة ورغبتهم في صيانتها من التقلبات الاقتصادية التي قد توقع رب العائلة في إفلاس أو فاقة . فالمنزل هو السياج المسمى للأسرة يكتنفها ويحميها ويقيها التشرذم . ولكن هناك سياجا معنويا هو الروابط التي تحتكمها التقاليد والقوانين . ففي بعض الأمم الأوروبية — وخاصة تلك التي تدن بالمذهب الكاثوليكي — يكاد الطلاق أن يكون من المستحيلات التي لا يؤهل الزوج في تحقيقها مهما تكن الأسباب . أو هو من الصعوبة بحيث يقارب المستحيل .

فالرجل في أوربا يتزوج وهو يعلم أنه سيرتبط طول حياته بالمرأة التي اختارها . وهو لهذا السبب يعنى العناية الكبيرة باختيارها . وكذلك هي تعلم أنه لا سبيل إلى الفكك منه ، فلا تقدم على التزوج منه إلا بعد أن تجربته وتعرف أخلاقه . ومن هنا تلك الألفة التي تراها بين الخطيبين الأوربيين مدة الخطبة . فان كليهما يقدر متانة هذا الرباط الزوجي المنتظر ويقدر الصعوبة . بل أحيانا الاستحالة التي تعترض سبيل فصمه . فهو لا يتعجل الزواج . بل يترقب وينتظر ويراقب حتى يدرس أخلاق هذا الشريك الذي سوف تبقى شركته مدى الحياة . والاختلاط يكثر مدة الخطبة بين العائتين والتزاور لا ينقطع ، فلا يتم زواج إلا وكل من الطرفين قد عرف الآخر كما عرف أهله وطول المدة التي يقضيها الخطيبان قبل الزواج وهما يترافقان ويتعارفان تنجح لكل منهما أسباب الوقوف على فضائل الآخر وعلى عيوبه ، فإذا كانت هذه العيوب بحيث يظن الشريك الآخر أنها لا نطاق فانه يقطع العلاقة الناشئة ويبحث عن شريك غيره .

وهذه العناية التي يبذلها الخطيبان تمحص أخلاقهما وتجعل رابطة الزواج بعد ذلك متينة صالحة للبقاء . وقل أن يتم زواج في هذا الزمان بدون حب سابق . فللاباء أن يرشدوا وينصحوا ولكن القرار النهائي سيظل أبدا للشباب والنساء . وهما يتديان في ذلك بما يحسنه

كل منهما من حب للآخر. فإذا تم الزواج فلا بد من منزل مستقل يكون عشا لزوجية .
وبعيد جدا أن نجد بيتا أوربيا تعيش فيه الحماة مع زوجة ابنها أو مع زوج أبتها إلا في حالات
شاذة أو ظروف خاصة تجعل استقلال الزوجين أمرا غير ميسور . فالمنزل المستقل اذن
ضرورة محتومة للأسرة الأوربية

وقد أشرنا الى القوانين التي تحمي بيت العائلة وتقيه شر الجزر والبيع ، ولكن هذه القوانين
ليست كل ما عمدت اليه الشعوب الراقية من وسائل الحماية . بل هناك أنواع أخرى منها .
فإن الأوربي على وجه عام يتعصب بطبعه وبآدابه أشد التعصب للزواج بوحدة . وتعدد
الزواجات عندهم جناية يعاقب مرتكبها بالسجن لمدة سنتين أو أكثر . وفي الأمم البروتستانتية ،
حيث الزواج المدني هو الأغلب ، تسبق الطلاق دائما وسائل للصلح ومساعد للتوفيق تشبه الوسائل
والمساعي التي نص عليها القرآن الشريف . والسبب الوحيد الذي يقسم به الرابطة الزوجية في جميع
الأقطار الأوربية بصرف النظر عن ماذا هيها هو الزنا . فإذا ثبتت هذه الجريمة فإن المحكمة
المدنية وكذلك الكنيسة تسلم بالطلاق . ولكن في غير ذلك تحاول المحكمة إيجاد وسيلة للصلح
بأن تمنح الزوجين حق الانفصال مدة ستة أشهر أو أكثر . فإذا تم الصلح بينهما في هذه المدة
فذاك وإذا لم يتم حكم القاضي بالطلاق في نهايتها .

ولهذا الارتباط المتين بين الزوجين اثره في أعضاء العائلة كلها . فإن الأولاد يرتبطون
بأبويهم ويتأثرون بالألفة الدائمة بينهما حتى لا يكاد أحدهم يشهد مشاجرة أو مشادة بينهما .
وهناك عادات مألوفة قد صيرها العرف واجبا ، وهي تؤكد هذه المنة برؤية يومية . فالزوج
لا يفادر منزله قبل أن يقبل زوجته . وكذلك الأولاد لا يأتون إلى فرائضهم قبل أن يقبلوا أبويهم .
ولكل من الأبوين والأولاد عيد ميلاده الذي تحتفل به الأسرة كلها . وهذا اليوم هو يوم
فرح عام لأعضاء الأسرة يتهادون فيه الهدايا ويذكرون فيه أطيب الأماني .

وأوربا على وجه عام بلاد باردة ، فلا يخلو فيها مسكن من موقد يجتمع أعضاء الأسرة حوله .
وهذا الموقد يؤكد الرابطة العائلية . لأن البرد يحمل الجميع على أن يكتنوا . واجتماع أعضاء الأسرة
حول الموقد يثير بينهم الحديث والمسامرة ويربط بينهم . حتى الأسر الفقيرة التي لا تستطيع
الإنفاق الكثير على الوقود تجتمع في المطبخ فتستمتع بدفئه وتطبخ على موقده طعامها ، فكان
الطبيعة في أوربا وأمر بكا تساعد على إحكام الرابطة العائلية .

والغريبون من حيث النظر إلى قداسة الزواج يختلفون بعض الشيء . ففي الأمم البروتستانتية
بكثر الطلاق ، ولكنه يقل إلى ما يقارب العدم في الأمم الكاثوليكية . وهم كذلك يختلفون
في النظر إلى التناسل . ففي حين نجد أن هولندا تعين الأطباء لإلقاء المحاضرات على الأمهات

لضبط التناسل وتحاشي الحمل نجد في أقطار أخرى عقوبات على من يفعل ذلك من الأطباء أو غيرهم . وقد عنيت إيطاليا وألمانيا وفرنسا بأداء إمانات مالية للتشجيع على الزواج والتناسل . والنظام المتبع هو أن يمنح الزوجان يوم عرسهما نحو خمسين جنيتها تعتبر دينا عليهما يجب أدائه عند الميسرة ماداما لم يعقبا ، ولكن هذا الدين يسقط بعضه عند ولادة المولود الأول ويسقط الباقي منه عند كمال أربعة أولاد . على أن المظنون أن البواعث لهذه الحركات سياسية أكثر مما هي اجتماعية . وإن العناية هي زيادة السكان باعتقاد أن هذه الزيادة قوة للجيش وقت الحرب . فيجب ألا نعلق أهمية كبيرة عليها لأن الأغلب أنها وفتية أو قريبة الزوال .

والغريون — على وجه عام أيضا — ينظرون بعين الاهتمام بل التعلق إلى زيادة الطلاق . وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية .

وتعزى هذه الزيادة إلى استقلال المرأة وشعورها بقدرتها على الكسب . ولذلك تكثر المؤلفات التي يعنى فيها كاتبوها يبحث أسباب التفور والشقاق بين الأزواج . بل إن بعض الجامعات الأمريكية قد عنى أخيرا بدرس هذا الموضوع وتدريبه .

وللتلخيص نقول إن دعائم الأسرة الأوروبية تنحصر فيما يلي :

- ١ — الزواج بوحدة .
- ٢ — صعوبة الطلاق أو استحالته .
- ٣ — العناية الكبيرة في اختيار الزوج وإطالة مدة الخطبة مع الاختلاط بين الخطيبين .
- ٤ — تقاليد بيتية توثق الرابطة الزوجية .
- ٥ — اعتقاد الجميع أن الزواج لا يمكن أن يكون تجربة تنجح أو تخطئ .
- ٦ — المثل الصالحة التي يتلقاها الأولاد من الوالدين .
- ٧ — وسائل التسلية والترفية التي تحجب الحياة المترلية إلى الرجل .
- ٨ — الاحترام الذي تتمتع به المرأة في نظر الرجل .
- ٩ — اعتبار الطلاق أو الانفصال حادثا غير طبيعي .